

# المثاق فوعشة يرتته



تساءلتُ في قراءة سابقة عما يريد المثقف من السياسي، والآن وأنا أقرأ كتاباً صدر مؤخراً عن إحدى العشائر العراقية، تطلب الأمر مني أن أسأل بشكل معكوس، ماذا يريد السياسي من المثقف؟

لا شك أن هدف الكتاب (الصادر بدعم بإذخ) هو التعريف بتلك العشيرة، والوقوف على تاريخها الممتد، وإدراج أماكن تواجدها، وانتشارها ضمن الخارطة الاجتماعية للعراق الواحد الموحد، لسئت هنا بصدد ذكر العشيرة

المُشار إليها لا بالسلب، ولا بالإيجاب، ولستُ إزاء قراءة تفصيلية للكتاب، لكنني لا بد من أن أنوه، إلى أن الكتاب لا يعدُّ بالتأكيد إضافة إبداعية لا لمؤلفه الشاعر، ولا للمكتبة العراقية، على الرغم من أن الكتاب قد ضمَّ بين جنباته فصلاً بأراء مجموعة من الأدباء! كانت تهدف تلك المجموعة لأضفاء صورة المنتدى، أو المجلس الأدبي على مضيف العشيرة ومواقف الأدباء (الشعراء منهم خاصة) لا يُؤخذ بها لكونها ببساطة مواقف شعراء!



العراقية بحضورها المخجل!!!!، ولو عدنا لتشخيص العلل لتلك التوجهات، (المشهد الثقافي الحلي أنموذجاً) لوجدناها كثيرة، ويحتمل الاتحاد جعلها؛ لأنه ببساطة تحول إلى مؤسسة دعائية، لا مؤسسة داعية للأدب، مؤسسة طاردة للمبدعين، ومستقبلية للطرائف ومدعي الأدب، فقد بلغ عدد المنضوين تحت مظلة الاتحاد ممن يسومونهم بالأعضاء، ١٢٨ (أديبا)، ثلث هذا العدد تم منحه العضوية بطرق مخجلة، ولا أجد مبرراً لسعي الاتحاد المحموم لإبراز دور البيوتات والمضاييف، وتغييب دوره، ولو تفحصنا دور الاتحاد من بعد ٢٠٠٤ لوجدناه ذلك الدور المفرق لا الجامع بين أعضائه؛ ولا غرابة في ذلك. لا يمكن لبلد يُعلي من شأن المضاييف، ويحط من شأن مؤسسات الثقافة، والعلم أن يعتلي ناصية التقدم، لا أريد هنا النيل من المضاييف، ولكني أريد بعد هذا الموات أن نعود للحياة، من العدل أن نعيد لكل مرفق دوره في حياتنا، ففعلنا للمضيف دور، فلسطينا دور، وللمسرح دور، وللجامع دور، إذ

أبناء من مرادي البيوتات والمضاييف، منهم من يحضر مهلاً بعطايا المضيف التي لا تتعدى قطعة موز، أو قنينة شراب غازية منتهية الصلاحية، أو ابتسامة محسوبة يسبغها الشيخ منتشبا على زائريه، ومنهم من يؤثر التواصل لأرب تمنى لو حقق واحدا منها، ومنهم من يسعى لمسيرة الجمع كي لا يُنظر إليه بعين واحدة، وهناك من يحضر ليعلن أنه مع الكل فلا فرق عنده بين توجه وآخر، لا ضرر إذن ولا ضرار بعد أن أصاب الشيخ منهم مغنمه، فالخلل قطعاً لا بالمضيف ولا بشيخه، فلم نعثر بعد على شيخ، أو سياسي، بإمكانه رفض هالة التعظيم، وطقوس القداسة التي يسبغها الآخرون عليه!! فالخلل بائن لمرتادي المضاييف والبيوتات. من الأدباء، لوجدنا عديدهم يفوق العدد المتواجد منهم في الاتحاد، المكان الذي من المفترض أن يكون هو الأولى بحضورهم، واهتماماتهم، حضوراً باهتاً في الاتحاد، حضور صاحب في المضيف، وبالنتيجة الثقافة

في العلاقة التي تجمعها والمثقف، على حساب كرامة الأخير ومهابته. فالمثقف واضح وجلية، فسياسيو عراق اليوم هم قليلون في الأغلب، والسياسي/القبلي لا يريد سوى إعادة الهيبة لقبيلته، والعمل على إبراز دورها لكونها السبب الوحيد في وجوده وحضوره، وارثقائه السياسي، وبما لقبيلته، لا يريد سوى إعادة الهيبة لكونها السبب الوحيد في وجوده وحضوره، وارثقائه السياسي، وبما أنه قد اطمأن إليها كحاضنة له، وأمنت هي إليه ممثلاً لها في المحاصصة المناصية. لذا نجد السياسي هذا يلجأ إلى شريحة أخرى، يستمد منها مكانة مضافة غير تلك التي حظي بها، لإيمانه بأن مكانته التي استمدتها من القبيلة لا تحقق له الهيبة الكاملة، سالم تعدد بمساندة يحسب أنها (واعية) تضفي عليه وقار الأدب أو الرفعة، وليس سوى شريحة المثقفين (بما تضم من أدباء)، هي الكفيلة بتأطير صورته الجديدة، لأنها شريحة من السهل عليه اختراقها، واستمالتها لصفه، فقلما نجد أديباً في وسطنا الثقافي، يسيطر على لعابه من إغراءات السياسي، أو نجده وقد تحصن بإبداعه عن مغية السقوط في حبالته. فسياسي/القبلي، هو الراجح

شئ، ولو عدت للسؤال الذي جعلت منه مدخلاً لمقالتني، لوجدت الإجابة واضحة وجلية، فسياسيو عراق اليوم هم قليلون في الأغلب، والسياسي/القبلي لا يريد سوى إعادة الهيبة لقبيلته، والعمل على إبراز دورها لكونها السبب الوحيد في وجوده وحضوره، وارثقائه السياسي، وبما أنه قد اطمأن إليها كحاضنة له، وأمنت هي إليه ممثلاً لها في المحاصصة المناصية. لذا نجد السياسي هذا يلجأ إلى شريحة أخرى، يستمد منها مكانة مضافة غير تلك التي حظي بها، لإيمانه بأن مكانته التي استمدتها من القبيلة لا تحقق له الهيبة الكاملة، سالم تعدد بمساندة يحسب أنها (واعية) تضفي عليه وقار الأدب أو الرفعة، وليس سوى شريحة المثقفين (بما تضم من أدباء)، هي الكفيلة بتأطير صورته الجديدة، لأنها شريحة من السهل عليه اختراقها، واستمالتها لصفه، فقلما نجد أديباً في وسطنا الثقافي، يسيطر على لعابه من إغراءات السياسي، أو نجده وقد تحصن بإبداعه عن مغية السقوط في حبالته. فسياسي/القبلي، هو الراجح

مثل هكذا إصدار، فأنى للشاعر الحال الرقيق إن من الخوض في تفاصيل جامدة، وفروع متشابكة، تعيدنا لعصر القبيلة الأول؟ ومتى كانت القبيلة هي الدرع الواقي من كل ما أصاب العرب من اختراقات انتهكت الأمة، وجعلت منها أمة مسحوقه لا تستحق حتى أن تكون في آخر الركب؟

لماذا إذا يتطوع الأديب للتثقيف، أو الترويج للقبيلة، والعمل بجهد لا يخلو من المحاباة على إعلاء شأنها، وكلنا يعرف أن لا دور للقبيلة في تاريخ العراق، سوى ذلك الدور الذي تحط منه السلطة في وقت تعافيا وسيطرتها المحكمة، وتبرزه متى ما تداركتها الأزمات، لتجعل من القبيلة أداة لها في تنفيذ سياساتها، ولابد لنا من القول إن لا فائدة تُذكر قد جناها العراقيون من القبيلة بدورياتها الحاضر، أو الغيب، وخير دليل قريب على ذلك ما تعرض له العراق في عام ٢٠٠٣، وكيف سقط دور القبائل في حماية البلاد من الاحتلال الأمريكي، والحد من انتهاكاته وإيقاف سعيه الخفي والمعلن للتقسيم على أسس

## عباس مزر السلامي

(ولا يفlech الشاعر حيث أتى) أما البقية منهم فلا يعنيا العشيرة ولا مضيفها بقدر ما يعنهم ما يوجد به المضيف، لذا لم يفلح الجمع المؤمن من الأدباء بتعزيز هذا الكتاب، فقد نُقل على السنة بعض المشايخ، ورؤساء الأفخاذ، أن مؤلف الكتاب لم يوفق بالإمام بكافة فروع شجرة العشيرة، خاصة وأن العشيرة تمتد جذورها بين مكونين رئيسيين، وضاربة أطنابها على امتداد خارطة العراق، بدءاً بمحافظات المنطقة الغربية، مروراً ببغداد، ووصولاً إلى محافظات الجنوب العراقي، إذ أن هذا النوع من الكتب لا يمكن أن يضطلع بكتابتته إلا من أوتي حظاً في معرفة الأنساب، وله دراية في علمي التاريخ، والاجتماع، كما أن الأجواء السياسية الباحث/الشاعر من أن يتمكن من الوصول إلى أبعد مضيف، والإبقاء بكل اشتراطات الواجب توفرها في

# حكومتان في الميزان

## صابرين فالح



كانت ثورة 14 تموز 1958 نتيجة حتمية للنضال الجماهيري المميز، فقد ناضل الشعب العراقي بكل فصائله السياسية والمهنية ضد السلطة الحاكمة التي كانت تستهين وتتلعب بمقدرات الشعب، فكانت الانتفاضات المستمرة الدووية من أجل الوصول إلى الهدف وهو الثورة التي هي المعبر الحقيقي للنضال الجماهيري. وكان أهم إنجازات الثورة إشاعة الروح المدنية المتحضرة في الريف العراقي بإصدار قانون الإصلاح الزراعي، وإلغاء قانون دعاوى العشائر الذي كان يخول شيوخ الإقطاع حسم القضايا الجزائية في مناطقهم، وإدخال الريف في صلب التحولات الاجتماعية، من خلال إشاعة روح القانون والقضاء على العشائرية والانتماآت الأخرى.



وعمل هذا القانون على إنهاء الدور العشائري، الذي كان من مكاسب استبدال الاحتلال العثماني بالبريطاني آنذاك، إذ استطاع بعض رؤساء العشائر والقبائل أن يستحصلوا تحويل قانون يسمى نظام دعاوى العشائر، الذي وفر مكاسب مادية واعتبارية كثيرة لهم، بالمقابل شاع الظلم في المجتمع من خلال هذه السلطة التي منحها المحتل البريطاني لرؤساء العشائر والمثقفين في الريف العراقي.

كما كان لقانون الأحوال الشخصية دور مهم في إشاعة الروح المدنية، من خلال حفظه حقوق الجميع، وبشكل خاص المرأة في ما يخص يعقود الزواج والطلاق وذلك من خلال إصدار قانون الفقهين السني والشيعي وصاغه في قانون يحفظ للمرأة كافة حقوقها ومحاوله تحريرها من برائث المجتمع الذكوري. وقد حاول البعض، ممن يريد لتكريس النعرة الطائفية، بعد ٢٠٠٣ إلغاءه أو على الأقل الانتكاف عليه وتجميده، ويعد هذا القانون الأكثر تقدماً في منطقتنا العربية من حيث الحقوق التي منحها للمرأة ومساواتها مع الرجل، كما كان لضمان الحريات الشخصية، وصون الحقوق لكافة شرائح المجتمع العراقي رافداً آخر صب في ذات التوجه المدني. الأمر الذي جعل من تلك التشريعات والقوانين، دافعا قويا لبناء مجتمع مدني عصري متحضر، متطلع إلى التقدم والازدهار. ويمكن قياس ذلك من خلال ما أنتج في تلك الفترة القصيرة في مجالات الأدب والفن بشكل خاص، وباقي المجالات الاجتماعية. لا بل حتى فترة الستينات وما شهدته من ازدهار اجتماعي، كان بسبب تلك الفترة القصيرة المنتعلة بعمر ثورة ١٤ تموز الخالدة، حتى سطوة البعث المقبور على السلطة وتحويله الحياة المدنية إلى عسكرة منظمة، إضافة إلى اعتماده على العشائر بشكل كبير وخاصة بعض رؤساء وشيوخ العشائر من خلال تقديم الولاء والبيعة، بالمقابل إغراقهم بالمكافآت والمكرم كما كان يطلق عليها آنذاك. مع إشاعة روح الانتقام والنفرة العشائرية والقبيلية والذهبية، بالتالي غابت كل سمات التحضر والتقدم.

وقد أصدرت الثورة قانون رقم ٨٠، وقد حررت بموجبه ٩٩٪ من الثروة النفطية العراقية من سيطرة الشركات النفطية الاحتكارية، وقد تطورت وازدهرت الصناعة الوطنية، واستطاعت الثورة أن

تنجز مصانع عملاقة شكلت البنى التحتية للصناعة في العراق. وأن تعالج مشكلة السكن فينت مئات الأحياء السكنية ووزعتها على الفقراء من أبناء شبيعتنا في كل محافظات العراق (ومدينة الثورة هي معلم وشاهد على هذا الإنجاز الكبير لثورة ١٤ تموز الخالدة)، لذلك فقد سميت هذه الثورة من قبل البعض بثورة الفقراء مع أنها كانت لكافة فئات وأبناء المجتمع.

أما على الصعيد الخارجي فقد رفعت الثورة من مكانة العراق وجعلته مهاباً إقليمياً وعالمياً، حيث غيرت موازين السيطرة والنفوذ في الشرق الأوسط ونقلت العراق من مكون أساسي في مخطط التآمر ضد العراق إلى تطلع الشعوب نحو التحرر والوحدة إلى سند فعال لهذا التطلع، وذلك بتبنيها سياسة عدم الانحياز، وإنهاء النفوذ البريطاني والأمريكي، وخروج العراق من حلف بغداد وإقامة علاقات متكافئة مع المعسكر الاشتراكي. هذه الإجراءات الثورية اعتبرت استغناءً للدول الغربية والشركات النفطية الاحتكارية وخروجاً على المألوف وعن الطاعة من قبل دولة نامية، خاصة وأن العراق غني بثرواته ومؤثر بموقعه الإستراتيجي. ويمكن القول إن أبرز منجزات ثورة ١٤ تموز هو في مجال التربية والتعليم حيث انتشرت المدارس في القرى والأرياف وانتشرت الثقافة بشكل واسع في هذه الفترة لقبول جميع الطلبة في الكليات والمعاهد للتعليم العالي وافتتاح جامعات ومعاهد وكليات جديدة في مختلف المحافظات العراقية، كما أن بناء المستشفيات والمستوصفات قد توسع بشكل مهم وتحسنت نوعية الخدمات المقدمة للمواطنين.

أما التغييرات في المجالات الاقتصادية والصناعية والتجارية فقد كانت تغييرات جوهرية مهمة من خلال التشريعات التي أسهمت في تنشيط هذه القطاعات وبناء أسس سليمة لها.

أما الحكم بنجاح أو فشل ثورة ١٤ تموز في تحقيق أهدافها التي جاءت من أجلها يكون غير دقيق في أغلب الأحيان، فالثورة قامت بمجهودات جبارة في سبيل النهوض بالواقع الاقتصادي والاجتماعي في العراق، بصورة شكلت تميزاً كبيراً عن الأوضاع التي كانت سائدة قبل الثورة، فإذا قلنا أن الثورة قد نجحت في مهمتها فإن الواقع يثبت أن ذلك لم يكن بتلك الدقة لأن هناك أوضاعاً بقيت كما هي دون تغيير بسبب الانخراط في صراع المناصب

والأطماع السياسية التي انجر إليها جميع الأطراف في الحياة السياسية في العراق.

أما إذا قلنا إن الثورة فشلت في تحقيق أهدافها فإن ذلك يعود إلى سوء التنفيذ الذي لازم مشاريع الحكومة وعدم إكمال أي مشروع وعمليات الانحياز التي طالت التشريعات والقوانين التي كانت تصدرها الحكومة فإن عدم الخبرة والروتين الإداري وأساليب المثقفين في إفراغ أي تشريع من محتواه أسهمت في عرقلة تنفيذ خطط الثورة للنهوض بواقع المعيشة والحياة في المجتمع العراقي.

ولا بد من القول إن ثورة ١٤ تموز المحيية كانت حركة شعب مناضل بأسره وهي ثورة شاملة أحدثت تغييراً جذرياً في البنية الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وضعت أساساً اقتصادياً وحررت مقدرات البلاد وثوراته من السيطرة الأجنبية.. ورغم أنها تعرضت للتآمر من قبل أطراف كثيرة في المنطقه ومن قبل دول الاستعمار الكبرى بريطانيا وأمريكا.. كذلك عملت قوى داخلية على إيقاف عجلة الثورة بكل الأساليب، وقد تلتقت تلك القوى المساعدة من كثير من دول المنطقة الرجعية التي كانت لا ترغب في رؤية عراق متطور ومزدهر ومستقل وأمن. كل هذه المخاطر تعرضت لها الثورة غير أن إنجازاتها ما زالت ليونما هذا موجودة ومحسوسة.

ولكن أين عراق اليوم، من مبادئ وأهداف وطموحات هذه الثورة وزعيمها، بعد أكثر من خمسين عاماً على قيامها، الذي تحول إلى أكثر البلدان العربية فقراً وبؤساً، التجمعات السكنية العشوائية، أزمة الفقر تطوق مدنه، وتنبعث من أطرافها الروع الكريهة بسبب النفايات، وتدني مستوى الوعي البيئي، أنقاض وخرائب ووجوه كالحة ذائبة، وشعب يواجه خطر استبداد أحزاب تتصارع في ما بينها لخدمة أهدافها البعيدة المنطلقة بالانقياس باسم السلطة باسم القانون وفرض دكتاتوريتهم على الديمقراطية؟ فيما المواطنون تحت وطأة سوء الخدمات وتفاقم أزماتها المستمرة مثل البطالة والسكن والكهرباء والماء والظروف المعيشية الصعبة!

كل ذلك يدفع بالموطن العراقي إلى المقارنة بين الحكومتين والفارق الشاسع بينهما في الإنجاز والإمكانية المادية الهائلة التي يشهد الشعب ضياعها وسرقتها أمام عينيه.

# الدولة اللغز والحل والمعنى المتجدد

2-2

## حكمت البخاتي

عنه تحسس اللفظ ويندر تشكل المضمون فيه حرفياً، ولا يكون مجرد إضفاء معنى لأنها (أي الدولة) الأعمق ضرورة في تاريخ الإنسان، في حياة الإنسان بل هو معنى منكشف بذاته عبر انسياقه عن الضرورة فيفيض بقوة حيويته على العقول والنفوس فيصنع مفهوماً وتتجلى به حقيقة ذلك، لأن معنى الدولة كامن أو كائن يتهبأ للظهور الاجتماعي داتماً.

ولعل أرسطو كان يؤمن بهذا المعنى في الدولة المنكشف أو المنبثق، فيقول إن الإنسان له طبيعة حيوان سياسي وبهذا تكون الدولة وفق تفسيراتها القديمة ظاهرة طبيعية ووفق تفسيراتها الحديثة ظاهرة صناعية، لكن حين يلتبس الأمر على جورج بورديو وغيره من الغربيين في تأصيل الدولة أو في أصل الدولة وهو جزء من غموضها عند الغربيين فإنه يلجأ إلى اختصارها في تاريخ أوروبا، فالدولة صناعة أوروبية منذ القرن السادس عشر الميلادي عندما بدأت كجهاز جديد بنائس هذا القرن فأعطوه اسماً تناقلته شعوب هذا العصر عنها – بورديو – إذا هناك تاريخ ملغى بالقدر الذي ألغته به الحدأة كل معنى قديم، كل معنى لم يكن مجرد إضافة يمارسها العقل على من حوله أو فكرة يصف العقل بها كذات العالم من حوله الذي يصنع المعنى والحقيقة بأن

إن ما يبهر انتماء الدولة إلى عالم المعنى أنها لم تخرج عن مسارات المعنى المتكشف في حياة الإنسان فلذلك تعددت أفكار المعنى فيها أي معنى الدولة من أبوية إلى طبقية إلى تجليات في الروح الكفيرى إلى إمكان القوة، وهي تفسيرات في معنى الدولة تكشف عن ظاهرة نشوئها وتشكلها.

أن انتماءها إلى عالم المعنى الغاضض ضمن لها عدم انحطاطها إلى مجرد صنع بشري شأنها شأن النظام السياسي، السلطة، الحكومة، وانتماؤها إلى هذا العالم يجعل منها كعنى فكرة تتوضع في المسافة الغاضض بين ما هو إلهي وما هو بشري، إنها دون الإلهي لكنها فوق البشري، وفي تلك المسافة دوماً تكمن اكتشافات المعنى – الحقيقي في وجود الإنسان والتماول في حياته في تاريخه، إنه نوع من عالم المتصوفة الذي يجولون به في سكراتهم الروحية ويتذوق الحقائق كالتصوفي الصوفي الواله، لكن الغوض يكتشف التعبير الصوفي عنها، إنه إحساس بالمعنى يعجز

من أجل أن تثير السلطة ذاتها فإنها تتلجأ إلى التاويل في علاقاتها بالدولة فإنها تتأول سياستها وفق المصلحة العامة أو وفق ضرورة تفرض حالة استثنائية مثل حالة طوارئ التي تحكم فيها السلطة قبضتها على الدولة، أو أن الدولة باعتبارها أوسع من السلطة قد تتأول علاقاتها بالسلطة بحالة من الضدية وعدم السير وفق مصالحها كدولة تجسد أمة أو بالأحرى تجسد مصالح أمة وتكون الأمة في هذه الحالة هي من يمارس التعبير عن الدولة بصيغة معارضة أو صعب في التغيير تجد الأمة تعبيرها أحيانا في الثورة على السلطة مما يفند كل تأويلات السلطة وتكون محاولة انتقال منها أي من الأمة إلى التعبير عن ذاتها عن كيانها عن معناها في الدولة تعبيراً حقيقياً وليس مجازياً يجد تعبيراته في سلطة تحتكر حق التعبير عنها أو التمثيل لها بالقوة المشروعة أو العنف المحتر لها من دون الأمة وحين يتحتم التأويل علاقة الدولة بالسلطة فإن الدولة تبدو من عالم المعنى الغيبي، الغاضض، الساحر، الغيبي في قبالة حال السلطة الحاضر – المشاهد – الغاضض في قبالة واقع السلطة المتحقق، الساحر في قبالة سلطة الجذب التي تمارسها الدولة تجاه الناس

إن ما يبهر انتماء الدولة إلى عالم المعنى أنها لم تخرج عن مسارات المعنى المتكشف في حياة الإنسان فلذلك تعددت أفكار المعنى فيها أي معنى الدولة من أبوية إلى طبقية إلى تجليات في الروح الكفيرى إلى إمكان القوة، وهي تفسيرات في معنى الدولة تكشف عن ظاهرة نشوئها وتشكلها.

أن انتماءها إلى عالم المعنى الغاضض ضمن لها عدم انحطاطها إلى مجرد صنع بشري شأنها شأن النظام السياسي، السلطة، الحكومة، وانتماؤها إلى هذا العالم يجعل منها كعنى فكرة تتوضع في المسافة الغاضض بين ما هو إلهي وما هو بشري، إنها دون الإلهي لكنها فوق البشري، وفي تلك المسافة دوماً تكمن اكتشافات المعنى – الحقيقي في وجود الإنسان والتماول في حياته في تاريخه، إنه نوع من عالم المتصوفة الذي يجولون به في سكراتهم الروحية ويتذوق الحقائق كالتصوفي الصوفي الواله، لكن الغوض يكتشف التعبير الصوفي عنها، إنه إحساس بالمعنى يعجز